خليص في التاريخ المنسي (8)

محمد علي الشيخ

قراءة في الذاكرة

مرت حارة المغاربة بثلاث مراحل حتى استقرت على اسمها المعروف والمتداول في داخل خليص وخارجه .

المرحلة الأولى = النزلة : وهي مصطلح مكاني عرفته (الجماعات) في أول استقرارها .

يقول الدكتور سعيد السريحي : " حين هبط القادمون من وادي ينبع وبواديه الرويس ..... سموا المكان الذي نزلوه (النزلة) تلح عليهم الغربة فيستعصمون في نزلتهم بما يسري في دمهم من إرث ، كلما زادت الغربة في ترويعهم ازدادوا به استعصاما ، يشعرون أنهم يمتازون به عن غيرهم ، يختلفون عمن نزلوا قريبا منهم اختلافا لايكاد يراه سواهم ، شعرة دقيقة تحفظهم كما هم ... " وهذا يلامس - حسب حركة التاريخ ، والنسق الاجتماعي - شخصية المغاربة في هجرتهم ونزالهم وتميزهم . انظر : الرويس - ط١ (٢٠١٣) لبنان - جداول.

المرحلة الثانية = حي السوق : وجاء الإسم نتيجة شهرة السوق كقاعدة اقتصادية ، وملتقى تداول المصالح والمنافع ، وعرض الشكايات والخصومات .

ومع مركزيته وتوسعه احتاج إلى منظم الحركة التسويقية ، ومراقبة الأسعار ، واحتاج - أيضاً - إلى مرجعية للتسويات في العقود والمديونيات ، وما ينشأ من خلافات على هوامش البيع والشراء .

ولذا نفهم كيف أن إدارة السوق وضبط التعاملات ، وحل الخلافات : احتاجت إلى مرجعية موثوقة ليس في (المغاربة) فقط ؛ بل في القبائل الأخرى التي يفد باعتها ومراسليها ومندوبيها سوق خليص .

وقد مثل الشيخ محمد بن مرعي المغربي - أمير السوق - وظائف مايعرف يوم الناس هذا بـ (البلدية) و(الإمارة) وما يعرف في الثقافة الإسلامية بـ (المحتسب) وقد كان أول محتسب في الإسلام (سعيد بن العاص ، عينه النبي - صلى الله عليه وسلم - محتسبا على أسواق مكة بعد فتحها ، وهو عمل تطوعي لايتقاضى عليه صاحبه أجرًا .

المرحلة الثالثة = حارة المغاربة : الحارة " في سياقها الاجتماعي ، تشير إلى حي سكني متقارب ، غالبا ماتكون منازله متلاصقة .... وعادة ماتتميز الحارة بوجود روابط اجتماعية قوية بين سكانها حيث يتشاركون في الحياة اليومية ، ويعرفون بعضهم البعض بشكل جيد " وربما كان استدعاء الإسم من المدن المجاورة ذات الصلة بالمتاجرة ، وذات الصلة بالحج والعمرة .

في جده أربع حارات رئيسية (حارة الشام - حارة اليمن - حارة المظلوم - حارة البحر) وفي مكة عدد أكبر منها على سبيل المثال (الشامية - الشبيكة - المسفلة - العتيبية - العزيزية - حارة الباب - الزهراء - المعيصم - العوالي - الزاهر - الخالدية ... الخ)

نعترف أنه " لا ينبغي الوقوف عند مجرد السرد الروائي الإخباري لأحداث الماضي ؛ بل لابد من فهم أعمق وغوص فيما وراء الأحداث وزيادة التفسير والتحليل " لكننا نحاول الوصول إلى قواسم مشتركة بين المكان والشخوص : تحكمت إلى حد بعيد - في صياغة الأحداث .

محمد علي الشيخ